

دراسة فى قصائد أبى ماضى التفاؤلية

فاطمه قادرى

عضو هيات علمى گروه ادبيات عرب دانشگاه يزد
(دانشجوی دوره دكتورى)

المستخلص

إن الهدف من كتابة هذه المقالة، دراسة لشعار إيليا أبى ماضى التفاؤلية، إذ نحن نرى فى ديوانه قصائد نستنبط منها نظرتة التفاؤلية فى الحياة و يظهر لنا أنه فى مختلف اطوار شعره و حياته شاعر التفاؤل.

انه يرى أن الحياة جميلة والطبيعة مفعمة بعناصر الجمال. والانسان يجب أن يفكر فى واقعية الوجود و أن يتمتع بمحاسن هذا الوجود ولا ينظر الى الماضى الذى قد مضى و لا الى المستقبل الذى لم يأت بعد، فعليه أن ينظر الوجود بحيث أن يستفيد من فرح الحياة و جمالها، دون ان يفكر فى آلامها.

و يعتقد أن السعادة ليس لها وجود حقيقى، كما أنه ليس «اللعنقا» وجود حقيقى، بل وجود السعادة نسبي فى كل انسان، فالانسان هو الذى يسعد نفسه أو يشقيها فان كانت نفسه جميلة رأى الوجود جميلاً، و ان كانت قبيحة رأى الوجود قبيحاً.

ففى نظر أبى ماضى يجدر بالانسان أن يغتنم الحياة و يستمتع بنعيمها كما يقول:

إن الحياة قسيمة، أعمارنا لبياتها والهوى فيها قافية
متح لحاظك فى النجوم و حسنها فلسوف تجضى والكواكب باقية^(١)

فيستسلم للقضاء، والقدر و يرضى بما قدر له و لكنه فى فلسفته التفاؤلية لم يكن يجهل آلام الحياة و هو لا ينسى أن كل انسان يصير الى الزوال، تفاؤله لم يكن خالياً من الإحساس بالألم و الأسى و القلق و لكنه يحاول أن يخرج الانسان من حقيقته الزؤالية إلى التفاؤل الذى يجعله أن يعيش فى جماليات الوجود و لا ينظر الى آلامه و احزانه.

فالشاعر عندما ينظر الى مصيره يعانى و يواجه فى ضميره صراعاً بين عوالم التشاؤم و اليأس، فيتقلب بين هذه و تلك، و لكنه فى النهاية يرى أن الاستسلام للتشاؤم هو اليأس والهوى، و أن العيش فى ظل التفاؤل ابعاد لليأس والهوى (لهما). حيث أنه يوصى من جاء الى هذا العالم مرغماً، بالابتسام و يقول:



قال: البشاشه ليس تُسعد كائناً
 قلبي: ابتسم هادئاً بينك والردى
 يأتى إلى الدنيا و يذهب مرغماً
 شبرٌ فأنك بعدُ لن تستبها
 هذا فى حين أن البعض يعتقدون أن البشاشة وحدها لا تجدى ولا تستطيع السعاد
 هذا الانسان لأنها قد تكون مُصطنعة فاستحق ابو ماضى أن يلقب باستاذ مدرسه التفاؤل فى الابد
 العربى، وهذا ما يراه بعضٌ آخر.

المقدمه

إن الغرض من هذه المقالة دراسة التفاؤل فى بعض قصائد أبى ماضى* و نظرتة
 حول هذا الموضوع. عندما تراجع الديوان يلفت نظرنا بعض العناوين التى تشم منها رائحة
 التفاؤل نحو «ابسمى»، «عش للجمال»، «ابتسم» وغير ذلك. كما نراه يقول:
 اذا أنالِم أجد حقلأً مريعاً خلقتُ الحقلَ فى روحى و ذهنى
 فكَادت تملأ الأثمازُ كفى و يعبق بالشذا الفواح رُدنى^(٢)
 فهذا يدل على قدرة الشاعر فى الخلق والابداع وهو مهما كانت الحياة قاسية
 والواقع مظلماً يبدع الرياض ليرتع فى أفيائها وظلالها.
 يبلغ عدد القصائد التفاؤلية فى الديوان سبع قصائد، ونحن سنعرض نزعة الشاعر
 التفاؤلية خلال دراسة هذه القصائد.

فى بداية البحث قمنا بشرح كلمة التفاؤل لغةً واصطلاحاً باستعانة المعجم وبعض
 كتب علم النفس، ثم أخذنا فى الكتابة حول القصائد التفاؤلية مرتبةً على الترتيب التالى:

- ١- تعريف التفاؤل
- ٢- نزعة الشاعر التفاؤلية
- ٣- تأنيب الشاكين والمتشائمين
- ٤- عدم المبالاة بالمصائب والآلام

*. ولد ايليا ابوماضى فى المحيطة ببلبان سنة ١٨٨٩ م وفى سنة ١٩٠٢ م انتقل الى الاسكندرية و
 عمل فى التجارة ثم هاجر الى الولايات المتحدة واستغل فى الصحافة كما اشترك فى تأسيس الرابطة
 القلمية وكان عالماً من اعلامها وكان من الشعراء المهاجرين.
 انه فى المرحلة الاولى من شعره اتجه اتجاهاً قديماً وفى الثانية حاول أن يجمع ما بين الكلاسيكية
 والرومنطيقية، له عدة دواوين شعرية «تذكار الماضى»، «ديوان أبى ماضى»، «الجداول» و
 «الخمائل»... توفى ابوماضى سنة ١٩٥٧ م.



- ۵- الابتسام عند مواجهة المصائب والآلام
- ۶- التمتع بمباهج الحياة
- ۷- الدعوة الى الفرح
- ۸- رؤية الجمال في مظاهر الطبيعه
- ۹- الاقبال على التفاؤل للفرار من التشاؤم.

تعريف التفاؤل

التفاؤل لغة: يقال تفاؤل بالشيء أى. تيمن به؛ اصله من الفأل والفأل ضد الشؤم وهو مثلاً. أن يكون الرجل مريضاً فيسمع آخر يقول يا سالم أو يكون طالب ضالّة فيسمع آخر يقول يا واجد. فيقول: تفاءلْتُ بكذا ويتوجه له في ظنه كما سمع أنه يبرأ من مرضه أو يجد ضالّته و تفاءل: أحسن الظن. (۳)

التفاؤل اصطلاحاً: إن التفاؤل هو أن يطمئن الانسان الى الخير فى حاضره، و يؤمله فى مستقبله، فالمتفائل يسير فى حيايه متذرعاً بالصبر، لا يشكو ولا يتبرم، متحلياً بالقناعة لا يكفر بالنعمة إن زادت ولا يتحسر عليها إن زالت، ينشر السلام و الصفاء بين الناس أينما ذهب فيسرى عنهم همومهم اذا ضاقت بها صدورهم و يتمسك بأهداب الأمل اذا لاحت له منه بارقة، و يحمد الدنيا و لو أثقلت اعباؤها، و هو فوق هذا كله يصفح و ينسى و لا يحمل الدنيا همأً، فالمتفائل يفكر دائماً فى النواحي السّارة من الحياة و من الناس من ينظر الى مستقبله نظرة الثقة و الاطمئنان، فهو المتفائل المستبشر الذى يعيش فى نور الأمل أو يرقب الشمس من وراء الغمام. (۴)

نزعة الشاعر

إن التفاؤل نزعة انسانية عميقة فى نفس الشاعر و إن كان فى بعضى الاحيان يعلوها غبار الزمن فتغطيها مسحة من الحزن و الكآبه و من خلال هذه النزعة التفاؤلية إن الشاعر قادر على أن يعيش الحياة فى اطار من التفاؤل و لو أن الامر يقتضيه التجرد من احساسه. يقول:

الحس مجلبة الكآبة والأسى قم ننتلق من عالم الاحساس
و أرى السعادة لا وصول لعرشها إلا بأجـنحة من الوسواس (۵)

فى رأى أبى ماضى أن السعادة من صنع الانسان و فكره و لا تفرض عليه من الخارج، فالانسان هو الذى يصنع سعادته بيده، كما جاء فى كتب علم النفس إن السعادة كالمصباح الذى إضاعته أو اطفاهه بيد الانسان. (٦)

ربما كان الانسان غنياً ساكناً فى القصور و لكنه يفكر دائماً بمن يعلوه بماله و ما يستمتع به من مواهب الحياة فيحسده يطعم فى ماله و يحقد عليه يتمنى له الشر والزوال و يعيش دائماً فى ألم و مصيبة، و ربما كان المرء فقيراً ساكناً فى كوخ و لكنه يعتبر الحياة خيراً و بركة فلا يطعم فى شئى ولا يحقد و لا يحسد و يرضى و يقنع بما حصل عليه من العيش اليسير و يعتبره نعمةً و يحسّ بالسعادة فالسعادة أو الشقاء فى نفس الانسان و فكره، و على المرء أن يعود الى نفسه و فكره حتى يجد السعادة، فى رأيه ان الانسان ينبغي له أن يقبل الحياة كما قدرت له و ان يرضى بما كتبه القضاء له، فهذا هو التفاؤل و أبو ماضى يحضّ مخاطبيه على هذا التفاؤل.

تأنيب الشاكين و المتشائمين

و اصدق مثال على النزعة التفاؤلية التى تُبرز جمال الحياة و بهائها قصيدته «فلسفة الحياة».

انه يخاطب فى مطلع قصيدته المتشائمين من الناس الذين ليس لهم سوى الشكوى من الحياة والخوف على المستقبل والبيكاء على مافات، يشكون دائماً من العلل والامراض و اجسامهم صحيحة سليمة. بقوله:

ايهذا الشاكى و ما بك داء كيف تغدو اذا غدوت عليلًا (٧)
يخاطب الشخص الذى طُبع على التشاؤم و يؤنبه على الشؤم الذى يلتزمه و يتساءل عن حاله اذا به داء ثم يقول:

إنَّ شرَّ الجناة فى الناس نفسٌ تتوقى قبل الرحيل الرحيل
و ترى الشوك فى الورود و تعمى أن ترى فوقه الندى إكليلًا (٨)

الرحيل الذى يلحق اليه الشاعر هو رحيل الموت، فمن خشى الموت قبل أن يموت و فكّر فى يوم رحيله عن الدنيا قرب اجله بيده و من نظر الى الورود و ما رأى سوى الاشواك فى ساقها فكره قطرات الندى على أوراقها كان جانياً على نفسه، فعلى الانسان ان يتغلب على هذا الشر بخير شامل و يجعل ذلك الخير هدفه فى الحياة، و سبيل ذلك

التفاؤل، فلا يرى في الرياض اشواكاً بل الازهار الجميلة. كما يقول:
والذى نفسه بغير جمال لا يرى في الوجود شيئاً جميلاً
صاحب النفس الجميلة يرى كل شيء من حوله جميلاً حتى ولو كان قبيحاً حقاً، و
صاحب النفس المظلمة ليست حياته إلا ظلاماً بالظلام. فالجمال كائن في نفس الانسان و
من حرم هذه النعمة حُرِم السعادة الحقيقية.

عدم المبالاة بالمصائب والآلام

كلما وجد الانسان نفسه منطلقة في رحلة، لا يحسن له أن يخشى على انقضاء الايام
والليالي، بل عليه ان يتمتع بكل لحظة و ساعة و ينعم بما قُدِّر له من العمر دون أن يسمَح
للغد أن يكُدِّر عليه طمأنينة الحاضر. ان يتمتع بصبح الحياة من غير أن يفكر بأن الصبح
سيتحول الى المساء و اذا أصابه هم أو غم خلال الايام القصيره من عمره، عليه أن يقصِّر
الحديث عنه.

فتمتّع بالصبح مادمتُ فيه لا تخف أن يزولَ حتى يزولا
و اذا ما اظللُ رأسك همَّ قصّر البحث فيه كي لا يطولا^(١٠)

و يجب على الانسان أن يحتذى حياة الطيور، فحياتها متصلة بالمصائب والمخاطر
ففي الفضاء خطر الصقور و في الارض خطر الصيادين و لكنها لا تنقطع عن الانشاد ليقينها
بأن ذلك الانقطاع لن يجعل من عمرها القصير عمراً طويلاً، و يقول:

تتغنى و الصقّر قد ملك الجوّ عليها، والصائدون السبيلا
تستغنى و عمرها بعض عام أفتبكى و قد تعيش طويلا
فهى فوق الغصون فى الفجر تتلو سورالوجد والهوى ترتيلا^(١١)

و ليس معنى ذلك أنه لا يقَرُّ بوجود الهم والألم فالذى بلا الهمّ و خبره، يعرف
موقعه من نفسه كما يقول:

ليس يدري الهم غيرُ المبتلى طال جنج الليل أو لم يطل^(١٢)

و لكنه يريد ان يحارب هذا الهم والألم و انه بهذه القصيدة يقاوم تيار التشاؤم الذى
كان صاعداً فى اعقاب الحرب العالمية الاولى، و قد حوّل الناس عن كل ما يُفرح و يبهج، و
صرفهم الى الكآبه واليأس والمرارة و كانت هذه القصيدة صوت المقاومة للألم و
التشاؤم^(١٣) فالذى نستنتج من رأى أبى ماضى هو أن تتمتع من الحياة و لا تفكر فيها و فى



آلامها، إذ إن الحياة جميلة وجمالها يرتبط بالنفس وان الانسان هو الذى ينغص عيشه بيده.

الابتسام عند مواجهة المصائب والآلام

الابتسام من الطرق التى يحدث الرضا والسرور فى نفس الانسان. (١٤) فترى فى قصيدة «ابتسم» التى استهلها الشاعر بقوله:

قال: السماء كئيبة و تَجهما قلت: ابتسم يكفى التهجم فى السماء (١٥)
امثلة بارعة تظهر فيها قدرة الشاعر على أن يرى فى كل شر خيراً، ولا يرى فى أى شر شراً، ثم يقول فى البيت الثانى:

قال: الصبا ولى فقلت له ابتسم لن يرجع الاسف الصبا المتصرماً (١٦)
انه بدلاً من أن يبكى على انقضاء زمن الصبا يبتسم، لعله ينسى بابتسامه هذا الواقع المرير الذى يواجهه.

قال: التى كانت سمانى فى الهوى صارت لنفسى فى الغرام جهنماً
خانت عهودى بعد ما ملكتها قلبى فكيف أطيق أن أنبسم
قلت: ابتسم و اطرب فلو قارنتها قصيت عمرى كله متألماً (١٧)

إن صدود المحبوبة و هجرانها و عدم ايفائها بالعهد خلّف فى قلوب العاشقين الاحزان والآلام و الشاعر يطلب منهم الابتسام كى ينسوا هذه الاحزان. و بوجه من خلال هذه الايات نصائحه و ارشاداته الى جميع العاشقين الفاشلين فى الحب (١٨)!

ثم يتحدث عن الازمة الاقتصادية التى اجتاحت الولايات المتحدة مدة اربع سنوات و بلغت أوج الشدة، نراه يشبه التجارة بالمسافر السائر فى الصحراء، و كاد يقتله العطش كما يشبهها بغادة مسلولة محتاجة الى الغذاء كلما تنفست لتخفف آلامها تزداد حالتها سوءاً و ينزف الدم من صدرها و الاطباء عاجزون عن معالجتها و عن القضاء على هذا المرض (١٩). و يقول:

قال: التجارة فى صراع هائلٍ مثل المسافر كاد يقتله الظما
أو غادةٍ مسلولةٍ محتاجةٍ لدمٍ و تنفث كلما لهثت دماً (٢٠)

و فى رأى أبى ماضى لاحيلة للمتضررين من التجاره الا اللجوء، الى النسيان و لا يتحقق ذلك إلا بالابتسام فى وجه المصائب و كما أنه وصف الابتسام للمتضررين كذلك وصفه لنفسه عندما وجد الاعداء حوله يحاولون هلاكه و يقول:

قال: العدى حولى عَلت صيحاتهم
قلت: ابتسم لم يطلبوك بذمهم
أأسر والاعداء حولى فى الحمى؟
لو تكن منهم أجَلّ و أعظما (٢١)

يوصى الانسان بالابتسام والفرح عندما المّت به مصيبة، و حَلّت به نكبة، بحيث اذا رأى الحزين الباكي تبسمه الذى لجأ اليه لينسى بواسطته الكوارث، زال عنه الحزن و شاركه فى الفرح والابتسام. يقول:

قال: الليالى جرعتنى علقماً
قلت: ابتسم و لئن جرعت العلقما
فلعلّ غيرك إن رآك مرناً
ترك الكأبة جانباً و ترنماً
أثراك تغنّم بالتبرم درهماً
أم انت تخسر بالبشاشة مغنماً (٢٢)

ان الانسان لن يخسر شيئاً بالابتسام بل يربح به اشياء فلماذا لا يحافظ عليه.

فيجب ان تكون فلسفة الانسان الابتسام دائماً مادام حياً، و عليه أن ينتهز الفرصة قبل أن يصير الى التراب و فى رأى ابى ماضى ان التشاؤم والتفاؤل مرجعهما الى الانسان فإن قبل الحياة كما قدرت له ابتسمت و اشرفت نفسه و ان لم يقبلها اظلمت نفسه و يئست.

التمتع بمباهج الحياة

و اما فى قصيده «المساء» فنراه يخاطب امراة سماها «سلمى»، و يبدو أنه يخاطب والدته التى كان اسمها سلمى، لكن بعض الادباء يزعمون أنه يخاطب فتاة اسمها سلمى (٢٣)، فيخاطبها فى مطلع قصيدته هذه، بقوله:

سَلْمى... بماذا تفكرين؟
سَلْمى... بماذا تحلمين (٢٤)

جلست سلمى عند المساء واضعةً رأسها بين يديها و هى حزينة كثية اكتئاباً شبيهاً باكتئاب العاشقين، تشاهد اعلام المستقبل المجهول التى تلوح أمام عينيها فى حين كان ابوماضى يشاهد اعلام المستقبل البعيد الباسم. فيطلب من مخاطبته أن لا تفكر فى المستقبل الغامض و اعلامه التى تلوح امام عينها و رؤيتها هى التى جلبت له كثيراً من الحزن والألم و يطلب منها أن تغتنم كل فرصة سنحت لها من الاصغاء الى صوت الجداول واستنشاق عبير الازهار، و التمتع بمناظر الشهب فى الافلاك قبل أن يفوت الأوان. (٢٥) فيقول:

فاصغى إلى صوتِ الجداول، جارياتِ فى السفوح
واستنشقى الازهارَ فى الجناتِ مادامت تفوح



و تمتعنى بالشهب فى الافلاك مادامت تلوح
من قبل أن تأتى زمان كالضباب أوالد خان
لا تبصرين به الغدير
ولا يلدُّ لك الخريبر

إنه يدعوها الى استماع خريبرالماء فى الجداول لأنه يشير فيها حالة الفرح و الطرب، ثم يذكر الازهار والشهب و يدعوها الى أن تحيا فى الواقع الحاضر و أن لا تهلك نفسها لهموم المستقبل فان الغد يَغشى الحاضرَ بالضباب أوالد خان، و هو الهرم و الموت للانسان، فاذا لم يتمتع بحاضره يسلب الغد قدرته على التمتع والفرح.

الدعوة الى الفرح

و فى مقطع آخر من قصيده «المساء» راح ابو ماضى ينصح و يرشد مخاطبته كى تظل سعيدة مرتاحة البال فى شبابها أو شيخوختها حيث يقول:

لتكنْ حياتك كلها أملاً جميلاً طيباً
و لتملأ الاحلامُ نفسك فى الكهولة والصبا
مثل الكواكب فى السماء وكالا زاهر فى الربا
ليكنْ بأمر الحب قلبك عالماً فى ذاته
ازهاره لا تذبل
و نجومه لا تأفل (٢٧)

يدعوها دعوة التفاؤل و يطلب منها أن تعيش فى هذا الزمن بعد وصولها اليه بالأمل الطيب والاحلام الجميلة اذ لا شىء سواهما يضمن لها السعادة فى زمن الشيخوخة، و ان تتنعم بنعيم الحب الذى لا تذبل ازهاره و لا تغيب نجومه.

ثم يختم قصيدته ناصحاً اياها بعدم التأمل فى الحياة و ما فيها من آلام إذ ان التأمل فى الحياة و آلامها لا يبعدها عنها بل تتضاعف و تنفذ فى صدرها بحيث لاتستطيع ان تقتلعها من صدرها بسهولة. و يقول:

ماتَ النهارُ ابن الصباح فلا تقولى كيف مات
إن التأمل فى الحياة يزيد أوجاع الحياة
فدعى الكآبة والأسى واسترجعى مَرَح الفتاة



قد كان وجهك في الضحى مثل الضحى متهللاً

فيه البشاشة والبهاء

ليكن كذلك في المساء (۲۸)

إن الشاعر يدرك أن الصباح يولد ليموت، ولكنه مع ذلك يدعو إلى الامتناع عن التفكير في الحياة لثلاث تضاعف الأمها.

في قصيده «ابسمى» لون آخر من ألوان التفاؤل و إذا أمتعنا النظر ادركنا أنه كيف يستطيع الانسان أن يخلع على كل مظهر من مظاهر الحياة بهجة ما بعدها بهجة و جمالاً ما بعدها جمالاً. يقول:

ابسمى كالورد في فجر الصبأ	و ابسمى كالنجم إن جُنَّ المساء
و اذا ما كفن الثلج الثرى	و اذا ما استتر الغيم السماء
و تعرى الروض من أزهاره	و توارى النور في كهف الشتاء
فاحلمى بالصيف ثم ابتمى	تخلقى حولك زهراً و شذا
و إذا سرّ نفوساً أنها	تحسن الأخذ فشري بالعطاء
و إذا أعياك أن تعطى الغناء	فافرحى أنك تعطين الرجاء (۲۹)

ابوماضى يؤمن بأن المرء قادرٌ على أن يصوغ في داخله عالماً من الحلم بدلاً عن الواقع، و يعتقد أن النفس و ان غطى عالمها الخارجى ثلج الفنون و غيوم الهم و تعرى روض عمرها من أزهار الأمل فلها ربيعها في الداخل و روضها و هذا يدل على تفاؤله «لأن المتفائل لا يسعى وراء الحقيقة ولكنه يسعى وراء تحقيق آماله و احلامه و إن كانت تلك الآمال و الاحلام اقرب الى الاوهام منها الى الحقائق» (۳۰).

رؤية الجمال في مظاهر الطبيعة

كفى بالمرء كى ينال الفرح والرجاء أن ينعم بجمال الطبيعة و جمال النجوم في السماء و الازهار في الارض و ألق الغروب الذى يسكب اشعة الذهب و ليصغ الى خربال المياه الجارية في السواقي و ليتأمل البرق الذى يضحك في السماء و ابوماضى يقول:

عش للجمال تراه العين مؤتلقاً	فى أنجم الليل أو زهر البساتين
و فى الربى نصبت كف الاصيل بها	سُرادقاً من نضار للرياحين
و فى السواقي لها كالطفل ثرثرة	و فى البروق لها ضحك المجانين



لا حين للحسن، لاحد يقاس به و انما نحن اهل الحد و الحين
خير و افضل ممن لا حين لهم الى الجمال، تماثيل من الطين (٣١)
فالحسن شائع فى كل مظاهر الحياة دون حصر و حد، و الشاعر يذكر بأن من لا
يخفق قلبه بحب الجمال، أحرى به أن يكون تماثلاً من طين.

الاقبال على التفاؤل للفرار من التشاؤم

ان ابا ماضى لم يكن خالياً من القلق و الحيرة و الاحساس بالآلم و لكنه يقبل على
التفاؤل ليهرب من التشاؤم، فالتفاؤل هو الملجأ الذى يجد فيه راحة قلبه من الخواطر
المؤلمة، لانه عاجز من حل الغاز الوجود و فهم اسراره و لا يدري الكون؟ و الفلك؟ و ما
الطبيعه؟ و متى بدأت و متى تنتهى؟ من أين جئنا و الى أين نذهب؟ ما هو الموت؟ و لا
يجد جواباً لكل سؤال يخطر بباله فهو حيران.

و القصيده التى تصور هذه الحيرة، قصيده، «طلاس» (٣٢) التى يستهلها بقوله:

جئت لا اعلم من أين ولكنى أتيت
و لقد ابصرت قدامى طريقاً فمشيت
و سابقى ماشياً إن شئت هذا أم أبيت
كيف جئت؟ كيف ابصرت طريقى؟
لست أدري

يقول انه لا يعرف مصدر الوجود و لكنه يعرف حياته التى لم يكن له فيها رأى و لا
اختيار و لا ارادة. فيلجأ الى البحر يسأله عن سره و لا يجد عنده جواباً ثم الى الدير و لكنه لا
يصل الى جواب يشفى حيرته و قلقه بل يجدهما حائرين يقول:

قد دخلت الدير استنطق فيه النا سكيننا
فاذا القوم من الحيرة مثلى باهتونا
غلب اليأس عليهم فهم مستسلمونا
و اذا بالباب مكتوب عليه
لست أدري

ثم ينتقل الى المقابر يسأل عن الموت هل هو فناء و لا بعث و لا نشور و لا قيام بعده و
لا يجد جواباً سوى «لست ادري» و يرى أن كل ما حوله لا يدري شيئاً ممّا حوله حتى



مظاهر الطبيعة كما يقول:

قد رأيت الشهب لا تدرى لماذا تشرق
و رأيت السحب لا تدرى لماذا تغدق
و رأيت الغاب لا تدرى لماذا يورق
فلماذا كلها فى الجهل مثلى؟
لست أدرى

و ينظر و يجد انه لافرق بينه و بين الطير و النمل و الزواحف، لجميعها شراب و طعام و قوت، تحيا و تموت و حياتها طويلة أو قصيرة و يرى أنه كالصهباء فهو مثلها سجين طين و هى لاتفقه معناها و وجودها يقول:

كلها مثلى تحيا كلها مثلى تموت
و لها مثلى شراب و لها مثلى قوت
و انتباه و رقاد و حديث و سكوت
فبما أمتاز عنها لبت شعرى
لست أدرى

قد رأيت النمل يسعى مثلما أسعى لرزق
و له فى العيش او طار و حق مثل حقى

الى أن يقول:

انا كالصهباء لكن انا صهبائى و دنى
أصلها خافى كأصلى سجنها طين كسجنى

و يختم القصيدة و لا تزال الغاز الوجود لا يُحلّ.

إننى جئت و أمضى و انا لا أعلم
انا لغز و ذهابى و مجيئى طلسم
والذى أوجد هذا اللغز لغز مبهم
لا تجادل ذا الحجى من قال إنى
لست أدرى

فابو ماضى حائر قلق لا يقدر أن يفهم الوجود و كله الغاز، فيرى أنه لا سبيل له الا

اللجوء، الى التفاؤل.



النتيجة

ما نستنتج من هذه القصائد أن نظرة الشاعر الى الحياة ومصائبها وآلامها واسرارها نظرة تفاؤلية يقاوم بها النظرة التشاؤمية ومع أنه لا ينكر المصائب والآلام ولكنه يعتقد أن على الانسان أن ينظر الى الحياة بمنظار التفاؤل ولا يفكر فى ما مضى ولم يأت حتى لا يكدر حياته الحاضرة.

و يبلغ الشاعر فى ذروه الابداع والقدرة على التفاؤل عند ما يرى فى جهنم أنها ليست اكثر من فكرة تاجر ولا يمكن أن يخلق الله للناس شقاء ويقول:

كم روعوا بجهنم ارواحنا فتألمت من قبل ان تتألما
ليست جهنم غير فكرة تاجر الله لم يخلق لنا الا السماء (٣٣)

الهوامش

١. الديوان - قصيدة «ان الحياة قصيدة»، ص ٨٢٨.
٢. نفسه، قصيدة «وقائلة»، ص ٧٢١.
٣. ابن منظور، لسان العرب، باب الفاء، المعجم الوسيط حرف الفاء.
٤. سمير عبده، مشكلات الانسان فى التحليل النفسى، ص ١٠٨ و ١٠٩.
٥. الديوان، قصيدة «لم يبق غير الكاس»، ص ٤٧٥.
٦. ژرژ باربارن، التفاؤل (خوش بينى)، ص ١٤.
٧. الديوان، قصيدة «فلسفة الحياة»، ص ٦٠٤.
٨. نفسه، نفس القصيدة، ص ٦٠٤.
٩. نفسه، نفس القصيدة، ص ٦٠٤.
١٠. نفسه، نفس القصيدة، ص ٦٠٤.
١١. نفسه، نفس القصيدة، ص ٦٠٤.
١٢. نفسه، قصيدة «بنت سوريه»، ص ٥٦٧.
١٣. عبداللطيف شراره، ايليا ابوماضى، داربيروت، ١٩٨٢ م، ص ٢٥.
١٤. ژرژ باربارن، التفاؤل، ص ٨٢.
١٥. الديوان، قصيدة «ابتسم»، ص ٦٥٥.
١٦. نفسه، نفس القصيدة، ص ٦٥٥.



۱۷. نفسه، نفس القصيدة، ۶۵۵
۱۸. عفيف نايف حاطوم، ايليا ابوماضي، دارالثقافة، بيروت، الطبعة الاولى، ۱۹۹۴ م، ص ۲۴۹.
۱۹. نفسه، ص ۲۴۹.
۲۰. الديوان، قصيدة «ابنسم»، ص ۶۵۵.
۲۱. نفسه، ص ۶۵۵.
۲۲. نفسه، ص ۶۵۵.
۲۳. عفيف نايف حاطوم، ايليا ابوماضي، ص ۹۷.
۲۴. الديوان، قصيدة «المساء»، ص ۷۶۴.
۲۵. عفيف نايف حاطوم، ايليا ابوماضي، ص ۱۰۰.
۲۶. الديوان، قصيدة «المساء»، ص ۷۶۷.
۲۷. نفسه، نفس القصيدة، ص ۷۶۷.
۲۸. نفسه، نفس القصيدة، ص ۷۶۸.
۲۹. نفسه، قصيدة «ابسمى»، ص ۱۲۴.
۳۰. سمير عبده، مشكلات الانسان في التحليل النفسي، ص ۱۰۷.
۳۱. الديوان، قصيدة «عش للجمال»، ص ۷۲۳.
۳۲. نفسه، قصيدة «طلاسم»، ص ۱۹۱.
۳۳. نفسه، قصيدة «كن بلسماً»، ص ۶۵۹.

المراجع

۱. ابن منظور، لسان العرب، دار بيروت للطباعة والنشر.
۲. ايليا ابوماضي، ديوان، دارالعودة، بيروت، ۲۰۰۰ م.
۳. ژرژ باربن، التفاؤل (خوش بيني)، مترجم: هوشيار رزم آزما، سنج، تهران، الطبعة الاولى، ۱۳۷۱ ه.ش.
۴. سمير عبده، مشكلات الانسان في التحليل النفسي، دارالآفاق، بيروت، الطبعة الاولى، ۱۴۰۲ ه.
- ۱۹۸۲ م.
۵. عبد اللطيف شراره، ايليا ابوماضي، دار بيروت، ۱۹۸۲ م - ۱۴۰۲ ه.
۶. عفيف نايف حاطوم، ايليا ابوماضي، دارالثقافة، بيروت، الطبعة الاولى، ۱۹۹۴ م، ۱۴۱۴ ه.
۷. مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، مكتب نشر الثقافة الاسلاميه، الطبعة الثالثة، ۱۴۰۸ ه.

